## الفصل الخامس

# الإسلام السياسي توظيف الدين

في المدخل لهذا الفصل الهام المتعلق بتوظيف العقيدة الدينية لتحقيق أهداف سياسية أو مآرب مادية وسلطوية لا بد لي من العودة إلى البدايات التي أسست لهذا المفهوم وهذا التوظيف والذي يستخدم اليوم على نطاق واسع (إقليماً ودولياً) ما سبب ويسبب المآسي والكوارث والفتن والحروب المذهبية التي نشهدها اليوم في فلسطين بداية (الماضي القريب) وفي كل من الجزائر وأفغانستان وباكستان واليمن والعراق وتونس ومصر وليبا وفي بلاد الشام مؤخراً.

وعبارة الإسلام السياسي والتوظيف السياسي للإسلام هو إرث قديم وتوظيف مارسته أقوام وملل متعددة ومع بداية التاريخ التوحيدي ما بعد الآلهة المتعددة وقد ادعت كل ملة من أتباع الديانات أنها تستأثر بالحقيقة ورسالة الوحي الإلهي وبما يخدم معتقداتها الدينية أو الانحياز إليها- بل ذهب بعضهم إلى نفي الآخر واحتكار الإيمان والاصطفاء لهم وحدهم دون غيرهم من الشعوب والقبائل التي اعتبروا أن مذاهبها ودياناتها قاصرة في أحسن الأحوال واعتبروا أنفسهم أبناء للرب دون غيرهم وأنهم الشعب المختار الذي استحق ويستحق وراثة الأرض باعتبارها هبة الرب إلى شعبه الحبيب والوحيد هذا الإعتناق والادعاء العنصري التمييزي للعبرانيين واليهود لاحقاً مع نفر من بني يعقوب (إسراءيل) انما استنسخ من تلك العقيدة الموبوءة لوادي النيل قبل ثورة العمارنة وقبل دعوة الملك أخناتون الموحد لإلغاء كل الديانات التعددية والتوجه نحو الديانة الإنسانية الشاملة لرب لكل البشر وكما فصلنا في الفصل الثاني عن مدى التغيير الفكري الذي أحدثه أخناتون (عابد الله) بثورته العلمية التوحيدية بإلغاء العقيدة العنصرية التمييزية للديانات مصر السالفة والتوجه بالتوحيد نحو العالمية ولخالق الكون الواحد ولجميع أبنائه من البشر دون تمييز- فنجح في ذلك بداية ثم انقلب عليه اصحاب المصالح المادية والسلطوية من الكهان

والملوك الفراعنة اللاحقين مع طغيان النفوذ الكهنوتي المادي- كذلك فعل السيد المسيح (ع) رسولاً من بني إسرائيل بثورته المتسامحة والروحية الكونية متجاوزاً بذلك اليهودية ونزعة المملكة الأرضية الربوية المادية متجهاً برسالة موسى (ع) ومن قبله ديانة إبراهيم الخليل نحو العالمية وديانة التوحيد الإنسانية ممهداً أولاً لقومه من بني إسرائيل فرصة التصويب والخلاص من المفاهيم القائمة على احتقار الآخر والتعالي والتميز عليه بالقول في إنجيل متى إلى تلاميذه:

(هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً- إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا- بل بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة[170] كان السيد المسيح يدرك أنها تعليمات لاهوتية يهودية مدمرة- وظفت الدين ورسالة موسى لتحقيق أهداف مادية ملكية وسلطوية سياسية ربوية لا علاقة لها بالوحي والتوحيد إلا بالقدر الذي يتم فيه استخدام تلك النصوص والقيم وتوظيفها لخدمة المصالح والغايات السياسية والمادية بعيداً عن الفهم الحقيقي لرسالة الوحي وأسباب النزول والظروف الاجتماعية السائدة أو التاريخية التي واكبت هذا النزول والأسباب الموضوعية التي تنزل لأجلها أو لتاريخية الحدث الذي جاء التنزيل معبراً عنه أو معالجاً له- رافضاً عليه السلام أي توظيف سياسي أو مادي سلطوي له أو جعله بحكم المقدس الموروث لأن ذلك الفعل يبعد المفهوم التوحيدي عن الغاية الإلهية التي جاءت من أجلها- وتحت ذريعة النص المقدس وحيث يتمسك معتقدو هذا النهج بكل ما يخدم أهدافهم وأطماعهم المادية والسلطوية متناسين عن عمد وإصرار تاريخية النص وأسبابه أو انقضاء أو تحقيق أهدافه تحت شعار (قدسية النص) تماماً كما يفسر البعض في هذه الأيام مضمون الآية القرآنية (واطيعوا اللّه واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) متنكرين للآيات الأخرى التي تحارب الظلم والطغيان والعدوان وقول كلمة الحق في وجه سلطان جائر.

والآية الكريمة (وأولي الأمر منكم) سبقها واو العطف على الرسول وأولي الأمر أتباع الرسول في زمن النزول إلى من خَلَفَ الرسول واتبع دعوته وعدله. هنا

[170]- العهد الجديد، إنجيل متى، 10-5-6.

يوظف النص خدمة لأولي الأمر من الطغاة المستبدين الفاسدين من ملوك ورؤساء وأمراء وشيوخ استعبدوا شعوبهم وقهروها ونهبوا ثرواتها وحكموها بحكم الجاهلية الاولى ومن يعترض من الشعب على تلك المظلمات يعتبر معارضاً لشرعهم (الخروج على الحاكم وأولي الأمر)؟ هنا يوظف الدين والنصوص لخدمة الإسلام السياسي أو لنظام وسياسة الحاكم المستبد هذا النمط لتوظيف اللاهوت لخدمة السياسة امتد من اليهودية إلى المسيحية في الماضي في العهد الجديد وعلى لسان الرسول بولص:

(أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح)[171] وهو نص قد يكون دخيلاً على رسالة بولص أو بإكراه أو بتبديل على يد السلطات الإمبراطورية الرومانية الغازية لبلاد الشرق- في العهد القديم استخدم النص المعدل ليتوافق وأطماع الساسة والكهان ولتحقيق أهداف غير دعوية مع تغييب كل ما لا يتوافق وتلك الأطماع وهذا النهج حتى لو كان القول قول نبي أو رسول كما الحال مع موسى لما تعارضت دعوته وأطماع العبرانيين- فكان لا بد من الإقصاء أو التغيب لموسى ومن اتبعه لتغليب الغاية وتوظيف الدعوة والدين لخدمة أهداف أخرى سياسية وسلطوية التوراة- تثنية- في مواجهة النبي موسى وتغيبه عن مسرح الأحداث اللاحقة (ومت في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات أخوك هارون في جبل هور وضم إلى قومه- لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل- فإنك تنظر الأرض من قبالها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيتها إلى بني إسرائيل)؟![172].

---

[171]- العهد الجديد، سفر الرسل، رسالة بولص الاولى أفسس، 6-5.

[172]- التوراة، تثنية، 22-50-52.

✯ في امارات ومشيخات الخليج العربي خصوصاً في المملكة السعودية- يوصم من يطالب بحقوقه أو حريته وكرامته بالخارج على ولي الأمر ويتوجب قتله أو سجنه- في ذات الوقت تدفع تلك المشايخ والمماليك الأموال الطائلة وترسل السلاح والعتاد- وتبث سموم الفتاوي الباطلة- لدعم وتحريض المسلحين والإرهابيين والقتلة للخروج على أولياء الأمور في سورية ومصر والعراق؟!.

ربما قصد بالتقديس إلى الإله يهوه. يلاحظ القارئ المتمعن لهشاشة العذر المنتحل لتغييب موسى وسيلاحظ أيضاً توظيف النص لغاية سلطوية (إلى الأرض التي أعطيتها لبني إسرائيل) فالهدف الرئيسي هو الاستيلاء على الأرض بالقوة والقتل والإبادة ليس هناك فرصة للدعوة والحوار والاقناع- إنما تعليمات الحرق والقتل والسطو تحت ستار الدين؟

وتبدو هنا جذور مبدأ التوظيف السياسي للنصوص وتحريف تأويلها واضحة- ويقود للبدايات الأولى للانقلاب على ديانة موسى (ع) والتحول من الموسوية الهدائية الإبراهيمية الجذور إلى العبرانية البدائية على حساب العقل والوعي الأخلاقي الإنساني- ويؤسس لهم كياناً سياسياً وبغض النظر عن أخلاقية الممارسات ولتبرير الوسيلة وتسخير الشريعة- من هنا نرى هذا الكم الهائل من الدعوات للقتل والتحريم بالسيف والحرق والسبي حتى للبهائم والممتلكات وجواز الكذب والغش والخداع والإباحة والمراباة والرق والاستعباد والاستيطان الجائر- داخل الرواية التوراتية المكتوبة وما يحتويه التلمود أبشع- هذا الفعل يدخل في موصفات تطويع الشريعة أو النص والفتوى لخدمة الهدف السياسي النهائي- لا علاقة لهذا المنهاج بقيم الخير والحق والعدالة والتي يفترض أن جميع الرسالات السماوية قد دعت إليها.

إنها مثيولوجية انتهازية بدائية شوهت وتشوه غاية وروح الشريعة ووظيفة الوحي والغاية منه وتشويه تاريخية الحدث لسحبها زوراً على كل مكان وزمان دون وعي أو تحكم للعقل وطبائع الأشياء- هذه الأساليب هي نتائج عقل وضمير يعمل من أجل السطوة والهيمنة والجاه ومراكز السلطة واستلاب حق الآخر بغطاء من الادعاء اللاهوتي في أحسن الأحوال- تحجير العقل عبر تثبيت الموروث الناتج أما عن قراءة خاطئة أو تفسير مصلحي وقاصر تحت ستار ما يسمى (بالسلفية والاقتداء بالسلف الصالح).

السيد المسيح (ع) كان سباقاً في إنجيله لكشف وتعرية أولئك الشيوخ والكتاب والكهنة المدعين الكذبة والمستخدمين للشريعة والنصوص لتحقيق أهداف سياسية سلطوية ومنافع مادية دنيوية على حساب الرعية والمستضعفين

(ولكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السماء قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون)[173].

(ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من الخارج جميلة وهي من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة- هكذا أنتم أيضاً تظهرون للناس أبرار ولكنكم من الداخل مشحونون رياء وإثماً)[174] هكذا وصف السيد المسيح الكتبة والأحبار والشيوخ اليهودية المتسلطين على رقاب الناس وأموالهم تحت ستار من الشريعة والتقوى- ووصف أصحاب الملكوت الأرضي المادي وتوعدهم بأنهم سيطرحون إلى الظلمة الخارجية حيث يكون هنالك (البكاء وصرير الأسنان).

هناك في الجانب الآخر المتعلق بذات التوظيف نرى أن الجماعات المتشددة تحت ستار السلفية الإسلامية قد تحولت في غالبيتها إلى قوة تكفيرية وإرهابية أو قوة تابعة إلى أصحاب السياسات المشبوهة والمرتبطة بأجهزة الاستخبار المعادية للعرب والمسلمين على السواء- هذه الجماعات أساءت للإسلام والمسلمين عندما طبقت الإسلام بطبائع الدين المحلي معبرة بسلفيتها وتشددها عن عدم صلاحية الاسلام إلا إلى البيئة الاجتماعية والثقافية والتراثية التي احتضنته وعاصرت نزوله بداية- فركبت كل التفاسير والفتاوى والتأويلات وحتى الحديث الشريف وتفاسيره بما يتماشى ويتناسب مع تلك البيئة الحاضنة أولاً- ومن حيث تدري أو لا تدري جعلت من الإسلام ديناً محلياً ومتطابقاً مع طبائع معتنقيه في الجزيرة العربية.

خاصة عندما تحاول فرض أنماط اللباس والزي والطبائع الاجتماعية والتراثية والتقاليد المحلية القبلية في الغالب على عامة معتنقي الإسلام بما في ذلك الزي المحلي والتقاليد البدوية الجاهلية المكتسبة تاريخياً إلى لون البشرة وحتى استعمال المسواك وأشكال اللحى وتصفيف الشعر وكأنها تقول للآخر إن الرسالة ودين الإسلام لا يصلح إلا لجزيرة العرب؟!!.

---

[173]- العهد الجديد، متى، 23-12.

[174]- العهد الجديد، متى، 23-27-28.

في حين أخر نرى ارتداداً عن الإسلام وما أتى به الرسول محمد (ص) من الدعوة إلى مكارم الأخلاق ونبذ التصرفات والعادات الجاهلية المكتسبة من ما قبل الإسلام وذلك من خلال التمسك بعادات وممارسات جرائم الشرف والأخذ بالثأر واحتقار المولودة الأنثى والتطاول على حق ورائتها وتوريثها والعصبية القبلية التي جاء الإسلام المعتدل لاغياً لها ومجدداً لضوابط الشريعة والأخلاقية التي تحكمها.

هذه التصرفات الجاهلية ترتكب اليوم باسم التمسك بالعادات والتقاليد حيث يستبعد هنا شرع دين الاسلام. أصحاب هذا النهج تنطبق عليهم آية سورة البقرة المنزلة بحق بني إسرائيل (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) حينما يشرع الإسلام الزواج بين المؤمنين والمؤمنات بغض النظر عن اللون والعرق والقبيلة والموطن (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[175].

يستخدم السلفيون والوهابيون من آل سعود أقسى درجات الخروج عن الشريعة والإسلام الحنيف- وتقدم هنا النظرة العنصرية والتميز والعصبوية المناطقية والحرص الملكي الجاثم على صدور المسلمين والأسباب سياسية تسلطية بالخروج على نص الآية القرآنية السالفة الذكر- فيحرم ويمنع مفتي ورجالات العائلة الملكية في سبعينيات القرن الماضي على الفتيات والنساء الزواج بغير السعوديين حتى لو كان الزوج يعتنق الدين الواحد للزوجة. وتوصف الفتاة التي تفعل ذلك بعبارة (بئس أصحاب السعير)؟

تقرع النساء بشكل لا إنساني والأخلاقي وتوضع أمامها كل العراقيل السلطوية الإدارية في حين يشرع ذلك للرجل بما فيه زواج الميسار- من هنا نرى ارتفاع حدة العنوسة وحالات تعدد الزوجات وحالات الطلاق المتفاقمة هناك- هذا التفكير وهذه العقيدة الموبوءة بالكراهية والتمييز درج عليها اليهود طويلاً بل افتى بها

---

[175]- القرآن الكريم الحجرات 13

✯- على الفضائية السعودية مباشرة لم يستطع خادم الحرمين الشرفين وإمام المسلمين ان يقرأ الأية 13 من سورة الحجرات دون اخطاء لغوية فاضحة.

حكماؤهم أو من سموا بالأنبياء جهالة داخل كتاب التوراة والمكتوبة بأيديهم- العهد القديم .

سفر عيزرا - 9-12-13- (والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكي تتشددوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد- بعد كل ما جاء علينا لأجل أعمالنا الردية وآثامنا العظيمة لأنك قد جازيتنا يا إلهنا أقل من آثامنا وأعطيتنا نجاة كهذه- فنعود نتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه الرجاسات).

إنهم يطبقون ما جاءت به التوراة وبكل حرص وأمانة- لا بأس هنا من الخروج عن شريعة محمد (ص) ولطالما يصب هذا الخروج في مصلحة بقاء تسلط وطغيان تلك العائلة الحاكمة الباغية- هنا يتم استخدام وتوظيف كل الفتاوى والمفتين والمنافقين لمباركة وتبرير تلك الخروقات والموبقات باسم الإسلام وهو منهم ومن فتواهم براء- فهم وفتواهم في خدمة الشيطان وأتباعه- أن يتزوج المسلم زوجة واحدة أو أربع زوجات فإنه مشرع للضرورات- في أقصى هذه الحالات سيلدن الأربع سيدات أربعة أطفال- ونادراً ما يرتفع العدد إلى ثمانية في حال التوأمة. أما أن يولد لملك عشرات الأبناء وهذا يحتاج إلى عشرات النساء- فلا بد أنه قد اقتدى بالسلف الصالح التوراتي.

توراة (وأحب سليمان نساء كثيرة وكان لديه سبعمئة من النساء وثلاثمئة من الزوجات وكان أن نساءه قد أملن قلبه نحو آلهتهن ولم يكن قلبه سليماً مع الرب كقلب أبيه داوود) العهد القديم سفر الملوك الأول -11-3- ينطبق الاقتداء بالسلف الصالح في تعدد الزوجات والإماء وأنماط اللباس والرقص مع العدو بالسيف واقتناء العبيد والخدم ويستبعد هذا الاقتداء على ما يتعلق بحقوق المرأة وتحقيق العدالة وتوزيع الثروات وحفظ الحقوق واستقلال قرار الأوطان وكرامة المواطن وتحريم الاستباحة لأرض المسلمين والعرب وتحريم اتخاذ الأعداء أولياء وتحرير المقدسات وتحريم تبديد الموارد والثروات الوطنية.

هذه الصفات تستبعد وهي ليست من الإسلام في شيء كما لا يتم الاقتداء بالسلف الصالح بما يتعلق بالتكني وتسمية الأولاد والأحفاد الأمراء فالأسماء (مصطفى- محمود- عمر- أبو بكر- عثمان- علي) محظور استخدامها ضمن الأسر والعائلات المالكة فلا عجب إن راجعت الآلاف من أسماء الأمراء والشيوخ والملوك أن تجد أي منهم قد تكنى بتلك الأسماء- بخلاف أسماء السطوة والقوة والجاه والسلطان؟!!

فهل ذلك الأمر مجرد صدفة؟

وأخيراً نسأل من الذي قال للبريطانيين خذوا فلسطين وأعطونا الحجاز؟- الأمر الأعجب والأكثر سخرية أن نرى أنه في ذات اليوم التي كانت تحتفل فيه جمهورية إيران الإسلامية بتصنيع وإنتاج أول طائرة إيرانية مقاتلة- كانت محطات الترف والمعاز والجمال والمجون الخليجية تحتفل وتحتفي بأجمل وأغلى تيس معزى محلي وتفاخر بهذا الحدث؟!.

إن التوظيف السياسي للشريعة والدين هو من أحد العوامل السلبية التي تأخذ بالناس إلى طريق الاقتتال والفتنة والعداوة ولن يكون هذا التوظيف إلا عامل هدم للنظام الاجتماعي وأسس المواطنة والانتماء وهو توظيف يتعارض تماماً ومبدأ قيام الدولة الوطنية أو القومية التي يتساوى فيها الجميع في الحقوق والواجبات وحرية التعبير والاعتقاد- ذلك أن قيام الأحزاب والتكتلات السياسية على أساس ديني أو مذهبي أمر يدفع باتجاه تحريك مشاعر التعصب والانتماء الطائفي والمذهبي ويوفر البيئة الحاضنة للفتنة والبغضاء وتفكك الدولة القومية وإضعاف الشعور بالانتماء للأرض والتاريخ والجغرافية وهذا ما تعمل عليه اليوم الجهات الإرهابية المشبوهة والتابعة في محاولة يائسة لإشعال نار الفتنة الطائفية والدينية في سوريا ولبنان والعراق.

توظيف الدين لتحقيق مآرب سياسية لا زالت تداعياته ماثلة في أذهاننا- الحروب الفرنجية (تحت ستار الصليب) كانت تهدف إلى استعباد الشرق واستباحته تحت ستار من الحروب المقدسة الصليبية باسم المسيح والمسيح كان منها ومن مرتكبيها براء- أولئك المستعمرين الفرنجة استباحوا مدينة معرة النعمان السورية

وأكلوا أجساد أطفالها شياً على الأسياخ ثم غلوا النساء والرجال في القاظانات فكانوا طعاماً ومؤنة لأدعياء المسيحية وتحرير قبر المسيح من الكفرة المسلمين وما أشبه اليوم بالبارحة حيث يمارس هذا الفعل الوحشي بحق السوريين في الشمال السوري الذي استباحه التكفيريون والسلفيون وبتخطيط تركي سعودي قطري- وأمريكي إسرائيلي مسبق تماماً كما فعل الفرنجة الصليبيون تحت ستار الدين والحروب الجهادية المقدسة!! أرباب الكنيسة في أوربا التي تحالفت مع طبقة الأشراف والأمراء والنبلاء والبلاط الملكي الإقطاعي في مواجهة مواطنيها من طبقة العوام الفلاحين والعمال الفقراء والطبقات الشعبية المسحوقة القابعة تحت نير ظلم وتسلط الاقطاع والطبقة البلاطية الحاكمة في تلك الحقبة من تاريخ أوربا المظلم في القرون الوسطى.

قامت جماعة الرهبان والباوبات المتسلطة على الدين والكنيسة وباسم الرب يسوع بالتآمر على المطالب الشعبية الرافضة للجور والتخلف والاستعباد والظلم والإفساد- وباسم الدين حرفتها عن مسار الثورة الصحيحة وتوجهت بها نحو الحرب الدينية المقدسة باسم المسيح لتغيير مسارها السياسي وأعلن البابا اوربان الثاني الحرب على العرب والمسلمين الكفرة لتحرير قبر المسيح وجعلوا للحرب شعاراً برفع شارة الصليب المقدس وهم يعلمون حجم التأثر الديني للفئات الشعبية المحافظة وأعلنت الحملة الفرنجية التي قادتها طبقة البلاط الملكي والإقطاع السياسي باتجاه الشرق.

كان وقود هذه الحملة بالغالب من المتدينيين والطبقات الشعبية فلعب الدين هنا دور السياسة لتحقيق الأطماع التوسعية وتغيير مسار الصراع- تلك الحملة التي لم توفر المساجد والكنائس الشرقية من الحرق والتدمير والنهب وعمليات الإبادة- بهذا الفعل اللاهوتي السياسي قسم المجتمع الأوربي إلى طبقتين (طبقة داعرة حاكمة إقطاعية) (وطبقة شعبية متصوفة بائسة)- أما الطبقة المتصوفة فدفع بها إلى بلاد الشرق بأمل أن لا تعود لمواطنها أبداً واستوطنت بلاد الشرق بما سمي الإمارات اللاتينية والتي استمرت لما يقارب من تسعين عاماً قبل طردها من القدس-

في هذا العصر يستخدم الدين وعقيدة الجهاد كذريعة مفبركة خليجياً بداية وقد وظفتها لمحاربة السوفييت في أفغانستان- ليس لنصرة المسلمين بقدر ما هي نصرة للحلفاء الغربيين ودفاعاً عن مصالحهم في المنطقة الغنية بالنفط والممرات الحيوية الواقعة تحت نفوذهم وبتمويل عربي.

واليوم يستخدم الدين أيضاً لتدمير الكيانات الوطنية القومية في كل من تونس وليبيا والجزائر واليمن وبشكل خاص تدمير الجيوش العربية في دول الطوق والمواجهة مع العدو الصهيوني بهدف إخراجها من دائرة الصراع العربي الصهيوني لتتحقق شروط التنازل والتفريط والمفاوضات العبثية وحل الصراع على الطريقة الصهيوأمريكية غربية خليجية وإسقاط قوى المقاومة والتصدي وهزيمتها نهائياً وخصوصاً تلك الجيوش التي كانت تمتلك في الماضي الدور الإمبراطوري الحضاري ما بين الفرات والنيل والتي كانت قد حالت في الماضي أيضاً من استمرار طغيان وتمدد وسيطرة القبائل العبرانية المتوحشة وممالكها الطاغية (مملكة إسرائيل الشمالية) (ومملكة يهوذا في أورشاليم) في القرن السابع قبل الميلاد وهي(الامبراطورية البابلية الآشورية العراقية) (والإمبراطورية الآرامية السورية) (والإمبراطورية الفرعونية المصرية).

هذه الجيوش هي اليوم المانعة والممانعة لقيام الدولة اليهودية الجديدة ما بين الفرات والنيل وبناء عليه لا بد من العمل على تدمير جيوش دول الطوق المصرية والعراقية والسورية وسبق وشاهدنا أن أول عمل قام به الحاكم الأمريكي للعراق المحتل في عام (2003 برايمر) هو حل الجيش العراقي للوصول بالعراق لما هو عليه من قدرات إرهابية للمنظمات الإسلاموية الطائفية التكفيرية على تنفيذ عمليات التفجير والتدمير وقتل المدنيين العزل وتدمير البنى التحتية والتمزيق للنسيج الوطني العراقي- والهدف من إضعاف تلك الجيوش يكمن في تمكين القوى السلفية والتكفيرية والطائفية الإرهابية من إقامة إمارات إسلامية متناحرة مناهضة للدولة الوطنية تتقاتل فيما بينها طائفياً ومذهبياً للعودة بالبلاد إلى عصر الحريم والجواري والغلمان والغزو والسبي حيث يستقيم الأمر هنا لدولة الكيان الصهيوني من إعلان (الدولة اليهودية) لتصبح تلك الدول القوية الخصم والحكم في آن واحد.

من واقع هذا المخطط وأدواته نستنتج كيف قامت قوى الإسلام السياسي والتطرف بالتعاون والتحالف مع قوى الرجعية الخليجية والتركية وحليفتهم الإمبريالية الأمريكية والقوى الغربية الاستعمارية بالالتفاف على المطالب الشعبية المحقة المطالبة بالصلاح والتغيير والتعددية السياسية وحرية التعبير بما يخدم المصلحة الوطنية وتحصين الجبهة الداخلية السورية- ذلك عبر حرف هذا الحراك الشعبي السلمي عن مساره وأخلاقيته وتحويل الحراك إلى اتجاهات أخرى عسكرية تدميرية وتقسيمة وطائفية ممولة من الخارج تخدم في النهاية مشروع تقسيم الدولة السورية واستنزاف الجيش العربي السوري وبما يخدم أيضاً مصالح العدو الصهيوني ومشروع الشرق أوسط الجديد والتي ستكون (دولة اليهود) مقبولة ومحمية فيه.

هذا الركوب لموجة الحراك الشعبي السلمي أدى ويؤدي إلى حرب تدميرية عبثية تستهدف أولاً الشعب العربي السوري وتدمير مقدراته الاقتصادية وبناه التحتية وروابطه الثقافية والاجتماعية وقيمه الوطنية وإفقاره عبر حظر وحصار وتجويع وتهجير ودعم للقوى التكفيرية بالمال والإعلام والسلاح لتقوم مقام الغزو المباشر في تدمير أسس الدولة والمجتمع ومقومات الحياة والبناء والتقدم والصمود فيه تماماً كما فعل الاحتلال الصهيوأمريكي غربي بغزوه للعراق وليبيا.

من إشارات التعجب والاستفهام حول مطالبة الحكومات الملكية والأميرية والمشيخات الخليجية وادعاءاتها أنها تقدم الدعم للشعب في سوريا من أجل الحرية والديمقراطية والتعددية وتغيير الدستور وإجراء الانتخابات الحرة في وقت لا تمارس تلك المطالب في بلدانها التي لا تحكم شعوبها بالدساتير أو الانتخابات والتعددية والحرية السياسية بل تقوم بقمع كل محاولة شعبية لتحقيق المطالب العادلة ووقف تبديد الثروات الوطنية والفساد والظلم والتبعية يقول الله تعالى (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) هذه الأنظمة هي بالواقع تناهض وتناصب العداء وتقوم بالتآمر على كل ما هو قومي ووطني مقاوم يرفض عدوان إسرائيل وتعادي أيضاً كل القوى والأنظمة التي تعمل على تحصين بلادها وتطوير قدراتها العسكرية والتقنية والاقتصادية والعلمية واستقلال قرارها السياسي والاقتصادي.

لأن تلك القوى المستقلة تشكل مصدر قلق وتثير التسؤل وتدفع بالمقارنة الشعبية ما بينها وبين تلك الأنظمة التابعة المتخلفة وتشكل حافزاً للصحوة والوعي لدى الشعوب القابعة تحت نير الظلم والفقر والتهميش والجهل والقمع والتنكيل- كما يمارس اليوم في البحرين وقطر والسعودية.

سنفترض في حسن النية وسلامة العقيدة لدى السلفيين والتكفيريين المتشددين فنقول- أنتم تعملون على تكفير الآخر وقتله أو طرده وظلمه لمجرد أنه لا يتبع مذهبكم أو دينكم وسلوككم وتضهدونه في أرض وطنه وهو يشكل بالنسبة لكم أقلية مذهبية أو عرقية كما تدعون وتفتون أن ذلك جائز شرعاً وهو ليس كذلك قطعاً.

هل فكرتم في أوطان أخرى يشكل فيها أتباع مذهبكم أو دينكم أقلية هناك أن يتعرضوا على يد الآخر لتلك الممارسات والتعديات التي تمارسونها بحق أقليتهم في أوطانهم؟!!.

تماماً كما حصل ويحصل اليوم للأقلية المسلمة من مواطني مينمار من قتل وحرق واغتصاب وتشريد لمجرد أنهم من دين آخر هناك!! أليس من الظلم والكفر والتعدي أن يضطهد الآخر من أجل دينه أو مذهبه وعقيدته في وطنه؟ ألم يتعرض العرب الفلسطينيون للظلم والاضطهاد والتنكيل والطرد من أرض الوطن على يد الطغاة اليهود الصهاينة الغرباء لمجرد أنهم ليسوا يهودا أم أن أفعالكم اقتداء بسلفكم الصالح؟!

## في التفسير- والتأويل- التدبر

يذهب البعض للقول إن أي تفسير ما لم يكن مبنياً على حديث شريف أو قول صحابي أو من المأثور هو تفسير قاصر وإفتاء مردود حتى ولو كان هذا التفسير للقرآن بالقرآن وهذا قول خاطئ يذهب بالحقيقة التي تقول بأن أسرار القرآن الكريم وتأويله ومعرفة كنوز علمه لا تنقضي بعصر أو زمان وهي قائمة حتى قيام الساعة- والحقيقة هي أن العلماء والمفسرين الأوائل كانوا قد فسروا بما امتلكو

من الفهم والتدبر ضمن الظروف الاجتماعية والتاريخية والسياسية التي عايشوها وكانت تلك التفاسير تلبي الحاجات والمتطلبات المرحلية والمعرفية للمجتمعات السائدة بتاريخ وحقبة هذه التفاسير والتأويل والتدبر.

لم يكن ذلك عملاً قاصراً أو عيباً في صحة التفسير- القصور هنا يكمن بالاعتقاد بوحدانية صحة هذه التفاسير وسحبها على أنماط التفكير والتطوير والظروف الاجتماعية والتاريخية اللاحقة والتي لم يعايشها المفسرون الأوائل بما حملته من تطور علمي وفقهي واجتماعي ومعرفي واقتصادي وسياسي طال جميع مناحي الحياة وفرض عليها أنماط جديدة من الممارسات والوعي والعلاقات الإنسانية والأنماط المعيشية- (مع التمسك بحدود الله).

في جميع الأحوال- يجب أن لا يكون فهمنا وتمسكنا بالدين والشريعة قاصراً أو موروثاً من خلال التمسك بصورة الماضي وأنماطه الاجتماعية السالفة واعتباره مأثوراً وحيداً لقول إن فيه فقط الخير والصواب كله- ونأخذ على ذلك مثالاً من القرآن الكريم (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء)[176] كيف فسر مفسرو القرن الأول الهجري هذه الآية الكريمة- وهي التي تثبت كروية الأرض ودورانها هل كانت صحة التفسير بنفس الدقة التي عليها اليوم مع وجود لعلوم والتقدم التقني والمعرفي؟.

الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر للميلاد أحرقت العالم (جينو برونو) حياً لأنه تجرأ على القول أن الأرض كروية وأن الكون لا نهاية لاتساعه واتهمته (بالهرطقة المتعنتة الوقحة).

الآيات الأخرى مثالاً (فبأي آلاء ربكما تكذبان- مرج البحرين يلتقيان- بينهما برزخ لا يبغيان- فبأي آلاء ربكما تكذبان- يخرج منها اللؤلؤ والمرجان)[177]. بالدليل العلمي الجغرافي والتصوير الجوي ثبت وجود حاجز مائي حول باب المندب ما بين البحر الأحمر وبحر العرب هذا الحاجز المائي يحمل مواصفات مختلفة عن مياه البحرين الفاصل بينهما فلا تتداخل مياههما ببعض ولا تزيل الحاجز أيضاً والذي

[176]- القرآن الكريم، سورة النمل، الأية 88.
[177]- القرآن الكريم، سورة الرحمن، الأية 18-22.

يحمي طبيعة الاختلاف للأحياء البحرية في كل منهما بما في ذلك اللؤلؤ والمرجان- فهذا موجود في البحر الأحمر والآخر موجود في بحر العرب.

هل كان مفسرو وعلماء القرون السالفة يفسرون هذه الآيات بمثل ما يفسرها مفسرو وعلماء اليوم؟ متطلبات العصر الحديث والتقدم العلمي والاجتماعي سوف لن تستطيع أن تلبيها الكثير من التفاسير والأقوال المنقولة أو المأثورة لطالما أن مفسروها ورواتها منفصلون عن هذه الحقبة التاريخية وأهلها ومعاصريها- الكثير من المرويات أو الفتاوى تبدو منتحلة أو وردت في سياق أحداث أخرى وظروف اجتماعية وتاريخية مختلفة ولا تنسحب تأويلاتها اليوم على الأحداث بمثل ما كانت عليه بالأمس- فتأويل القرآن والسنة النبوية الشريفة قائمة إلى يوم الدين وتؤدي دورها في كل زمان لنقل الإنسان من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم ومن التخلف إلى التطور.

قام علماء عصر السلف الصالح بتلبية احتياجات ومتطلبات وتداعيات عصرهم ومجتمعهم- وعلماء اليوم مطالبون بتلبية تلك الاحتياجات المعاصرة وبما يتوافق مع روح العصر وإشكالاته وتحدياته- فلو تقيد علماء اليوم ومفتوه بكل ما جاء به علماء السلف وبحرفيته فلن يستطيعوا تأمين مستلزمات ومتطلبات عصرهم ولأصبح الماضي حجر عثرة أمام تحرير الخطاب الديني من قيود الماضي التي واكبت عصره.

في التأويل يقول الله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخرى متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب)[178].

إن في التأويل وجهات نظر مختلفة واجتهاد وفي ذلك دليل عافية- هذا التأويل أفرز معطيات واجتهادات مختلفة لأئمة ومذاهب وطرق متباينة- ساهمت بشكل أو بأخر في تسهيل إيجاد الكثير من الحلول للإشكالات الفقهية أو لبعض النصوص التي أخذت طابع المجازية أو غير الحرفية- سهلت هذه التأويل بيسرها حل الكثير

[178]- القرآن الكريم، ال عمران، 7.

من المشاكل الاجتماعية والشرعية وجعلت من الإسلام دين يسر ودون عسر- دون تجاوز لحدود الله منها ما يتعلق بالزواج والطلاق وألغو في الإيمان والطهارة والنجاسة والتجارة والحجاب والاختلاط وآدابه وفي الجهاد- ذلك أن كلام الله ووحيه فتح الباب واسعاً أمام الاجتهاد والتفكير والتدبر وبشكل أزلي ومتجدد ومفتوح يواكب حركة التطور والتاريخ والظروف السائدة والتطورات العلمية فهو خطاب لكل مكان وزمان وموطن وأمة وحتى قيام الساعة.

يجير اليوم الخطاب الديني وتأويله ابتغاء الفتنه وللتوظيف لمصلحة أنظمة وحكام وملوك وشيوخ وأمراء بهدف تكريس الهيمنة والتسلط والاستغلال والنفوذ أو لإضفاء الشرعية على السلطات السياسية الباغية بعيداً عن الأهداف النبيلة التي جاء الخطاب الإلهي داعياً إليها- وهذا بحد ذاته فعل هدم وفتنه ويقدم خدمة كبرى للقوى المستكبرة العاملة على وقف المد الإسلامي المعتدل وصبغه بصبغة الإرهاب والتطرف تحقيقاً لغايات سياسية لا علاقة لها بالتوحيد والدعوة والدين الحنيف.

## مفهوم الجهاد الإسلامي

ينطوي الخطاب القرآني على الأهمية الكبرى للجهاد في سبيل الله في مواجهة المشركين وعبادة الأصنام و الجاهلية ذلك أنه ما كان للإسلام أن ينتشر وينشر عدالته الإنسانية الشاملة دون أن يحقق الانتصار على مشركي الجزيرة العربية أولاً.

كان الجهاد في الحجاز مسألة حياة أو موت بالنسبة لرسالة التوحيد هناك- والأعداء هم من أصحاب البيت من القبائل العربية الأصلية صاحبة الأرض- لم يكونوا دخلاء أو محتلين أجانب- ورسول الإسلام هو من أُخرجَ من دياره بعد محاولات عدة لقتله وتغيب رسالته.

جاء خطاب الوحي لرسوله حاسماً وعادلاً (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً في التوراة والإنجيل)[179].

[179]- القرآن الكريم، التوبة، آية 111.

الجهاد فريضة هنا فرضت على الموسويين والنصارى والمسلمين- وجهاد أيضاً في مواجهة المعتدين على حق التعبد والمحتلين والغزاة- أياً كانت ديانتهم وأوطانهم- فهم تعدوا حدود ما أمر به الله (ولا تعتدوا) في مواجهة طغيان الفرعون على يد النبي موسى وأتباعه- وفي مواجهة الغاصبين الرومان والوثنية والمرتدين عن الموسوية من اليهود على يد الرسول عيسى (ع) وفي مواجهة المشركين والأعراب المرتدة على يد الرسول محمد (ص) وعلى الرومان والفرس والإغريق المعتدية على يد أتباع الرسول محمد (ص) فالجهاد هنا مفروض لإحقاق الحق والدفاع عن الأرض والوطن والعرض والسيادة والدين.

في مواجهة من يعتدي ويحتل ويغتصب ويستعبد الآخر أيا كانت ديانته وموطنه وعرقه- ليس الجهاد أن تقتل الآخر لأنه لا يعتنق دينك أو مذهبك- فالدعوة إلى الله واضحة في شرع الله- فهي تدعو إلى الود والحوار والتسامح بين المؤمنين من أهل الكتاب بعضهم ببعض إلا المعتدين والظالمين (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)[180] (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)[181].

دعوة واضحة لقتال من يقاتلونكم بالباطل- إما ليردونكم عن دينكم أو يسلبون أموالكم أو يحتلون أوطانكم ويعتدوا على مقدساتكم وحرماتكم وكراماتكم فقاتلوهم لنصرة سبيل الله سبيل الحق والعدل ولا تعتدوا ولا تقاتلونهم بغياً وعدواناً وتسلطاً لان الله لا يحب المعتدين أياً كانوا ولن ينصر الله معتدياً ولو كان مسلماً أو غير مسلم لأنه قد تعدى حدود الله (ولا تعتدوا).

الجهاد ليس مطلوباً ممارسته بجهالة أو تحريض أو فتوى غايتها الفتنه وزرع الشقاق بين المؤمنين والمسلمين لغايات سياسية سلطوية تابعة وظالمة تعمل على توظيف الدين لغايات أخرى لا تمت إلى الدين بصلة- وتكراراً نقول (ولا تعتدوا) لان الله (لا يحب المعتدين).

---

[180]- القرآن الكريم، العنكبوت، آية 45.

[181]- القرآن الكريم، البقرة، 190.

بل إن في أقسى الظروف التي واجهها رسولنا الكريم (ص) كان التوجه الإلهي حاسماً في هذا الشأن- التوبة (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)[182].

احترم الإسلام حقوق الإنسان وصان كرامته الإنسانية وتكفل بأمنه وسلامته وحقه حتى في أقسى ظروف الحرب والمعاناة وشدد على الإيثار والنخوة وإبلاغ الدعوة بالحكمة حتى مع المشركين- فكيف يكون هذا التعامل والتصرف مع المذاهب الأخرى الإسلامية ومن أبناء الوطن والأمة الواحدة أو مع أهل الكتاب من شركاء الوطن الواحد.

يحمل الخطاب الإلهي إلى رسوله الكريم (ص) سماحة وعدل وأخلاق المسلم الصحيح الوجداني (وإنك لعلى خلق عظيم) (لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) (فذكر إنما أنت مذكر) (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن اللذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)[183].

إن نص الآية الكريمة والأمر الإلهي واضح وحاسم هنا- (لا ينهاكم الله) أي لا يطلب منكم بل يحرم عليكم مقاتلة أو ظلم أو الاعتداء على الذين لم يقاتلوكم لردكم عن دينكم أو الذين لم يخرجونكم من دياركم أو يحتلون أوطانكم ويأمركم الله أن تبروهم وتقسطوا إليهم بميزان العدل والحق وتحفظوا لهم حقوقهم وأمنهم.

إنما ينهاكم الله من المهادنة أو التعاون والتحالف مع الأعداء أو تجعلوا منهم أولياء لكم وهم الذين أخرجوكم من دياركم وأوطانكم (في فلسطين ولبنان والجولان) أي اليهود الصهاينة وكيانهم المحتل الغاصب لمقدساتكم ومعهم من (ظاهروا على إخراجكم) من الغربيين والأمريكيين الذين مدوا لهم يد العون

---

[182]- القرآن الكريم، التوبة، 6.

[183]- القرآن الكريم، الممتحنة، 8-9.

والسلاح والمال والدعم السياسي والذين غزو بلادكم في العراق وليبيا وأفغانستان ونهبوا ثروات شعوبكم ويحاربونكم في دينكم وعقيدتكم.

ويحدد الله تعالى على من يتحالف أو يتعاون معهم بأنه ظالم وإثم ومخالف لما أمر الله به وهذا ما يفعله اليوم ملوك وأمراء ومشايخ عربان النفط وتابعيهم من التنظيمات والأحزاب الإسلاموية التكفيرية- ذلك حينما حولوا وجهة الصراع من المواجهة والمقاومة مع العدو الصهيوني الذي حددته الآية الكريمة- إلى صراع وقتال ضد كل مقاوم أو محارب ومواجه لذاك العدو الذي نهى الله تعالى من الموالاة او المهادنة معه واعتبره كفراً واثماً وظلماً وخروجاً على الإسلام والمسلمين هذا ما يقوم به اليوم حلفاء أمريكا والصهيونية اليهودية جهاراً نهاراً بلا حياء أو خوف من الله بحق العرب والمسلمين في الجزائر وتونس وليبيا ومصر ولبنان وسوريا والعراق واليمن!!.

يحاول مفتي السلطان وتابعيه إخراج عقيدة الجهاد عن الإطار الشرعي لها وتوظيفها سياسياً في خدمة الأهداف السلطوية الملكية- خدمة لحاكم جائر أو نظام مستبد ومتآمر على حقوق الأمة وقضاياها المصيرية العادلة أو مرتبط بمشاريع مشبوهة. الإفتاء والتفسير الوهابي المكفر للآخر يعمل على إخراج الآيات والأحاديث الشريفة عن سياقها التاريخي الاجتماعي والجغرافي الذي أنزلت فيه ولأجله بينما تستبعد الآيات والأحاديث الشريفة التي لا يتوافق مضمونها مع مصالح وغايات الملك أو الأمير أو الشيخ الذي يضرب بسيفه تابعاً أو مرتزقاً منافقاً.

كان أول من استخدم هذا الأسلوب والتحريف لكتاب التوراة وابتدع ما يسمى بالتلمود الشفهي المفسر للتوراة هم الكتبة والأحبار والكهنة من اليهود المتهودة والذين خرجوا على الموسوية الحقة واتجهوا بها نحو تأسيس المملكة المادية الأرضية الربوية لأكل أموال الناس بالباطل والسيطرة وامتلاك الجاه والسلطة وقد فعل بعض الأعراب ذلك لاحقاً اقتداء بسلفهم الصالح؟!

وإلا فالقتال يتوجب ضد الغرب والصهاينة الذين أخرجونا من ديارنا بدل أن تتولاهم الأعراب أسياداً لهم- إن أي انحياز للتنظيم الديني السياسي الحزبي أياً كانت هويته وديانته ما لم يكن تكتلاً أو تنظيماً مقاوماً للاحتلال وفي ظروف

الحرب والعدوان ويعمل تحت هذا الإطار والمفهوم الجهادي فإنه سوف يتحول إلى عامل هدم وفئوية تكفيرية لاغية لعقلنة الحراك أو الدعوى إليه وسيكون مغلقاً بذلك لباب الحوار والمشاركة ومتجهاً باللاهوت المتشدد إلى عصر الظلمات والحروب الدينية السياسية والمذهبية مشرعاً لطغيان ذهنية التكفير لدى البسطاء- منتحلاً بذلك لثقافة القتل والفتنة والتفكيك وعقلية (فقه الدماء) والجاهلية لاغياً لحكم العقل والعقلانية والتنوير ليكون بديلاً ظلامياً مغلقاً ولاغياً لثقافة الحوار والتسامح والعيش المشترك وبناء قواعد الثقة والفهم لعقيدة الآخر ليقف حائلاً أمام تبادل المنافع والتعاون والتقدم الاجتماعي والتحرر الفكري- هذه المبادئ الذي جاء بها الإسلام معتدلاً- محاوراً- يهدي ولا يكفر- يوحد ولا يفرق- يحاور ولا يتحجر- متسامحاً مع الخلق كما الله الخالق لأبنائه جميعاً تقاتهم وعصاتهم وإليه جميعاً أمرهم.

صحيح أن استخدام الدين والجهاد كعقيدة للنضال السياسي في مواجهة المحتل والمستعمر الأجنبي الغازي والمغتصب يعتبر حقاً مشروعاً وواجباً مقدساً في الإسلام وكل الديانات التوحيدية في مواجهة الظالم المعتدي- ولكن ليس كما استخدمت الدعاوى الدينية السياسية غطاء لشن الحروب الفرنجية الصليبية على العرب والمسلمين أو لقيام الدولة اليهودية التوراتية في فلسطين.

من الواجب أن يشكل الدين وعقيدة الجهاد الإسلامي رافعة ثورية مقاومة تدفع باتجاه التضحية والفداء ومن ثم الجهاد لتحقيق الانتصار- ولكن يجب أن لا يتحول هذا الفهم والمشروعية الدينية إلى تنظيمات ومنظومات وأحزاب سرية داخل المجتمع تحول مفهوم الجهاد أو الدعوة إليه لعقيدة ذات اتجاهات سياسية وفردية خاصة ساعية للسيطرة وقلب الأنظمة الوطنية والقومية وتدمير بناء الدولة الوطنية تحت مسميات من تطبيق الشريعة والعودة إلى الأصولية- لتجعل كل طائفة ودين ومذهب متبنياً لشعار (ديني ومذهبي هو الحق وما عداه باطل)؟!

فتكون الفتنة ونفاذ القوى الاستعمارية والانتهازية إلى قلب الصراع ويكون التحالف والتواطئ والاستزلام لهذا المستعمر أمراً حتمياً وخياراً صعباً ولا نغالي إذ نقول إن هذه الإيديولوجية اللاهوتية هي نسخة طبق الأصل عن (أهداف الحروب

الصليبية) واحتلال فلسطين وقيام الكيان الصهيوني بما يسمى (الدولة اليهودية) عام 1948 أو محاولة قيامها إلى اليوم.

كانت معاهدة صلح الحديبية مع الرسول محمد (ص) مجحفة بحقه وحق المسلمين في مكة والمدينة ولكن ما إن عمل المسلمون بالآية الكريمة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) حتى دخل الرسول الكريم (ص) مكة فاتحاً ومن عدة أبواب لها منتصراً- ومع انهزام مشركي مكة القريشيين وهم من قومه- قالوا للرسول (ص) مستسلمين ضعفاء (ماذا أنت فاعل بنا) فقال عليه الصلاة والسلام (اذهبوا فأنتم طلقاء) لقد حارب الرسول البقية الباقية المهزومة من مشركي مكة بسماحة وأخلاق وإنسانية الإسلام وشهد الكثير من المؤرخين أن التاريخ لم يشهد لأحد من قبل بالقضاء على الوثنية والشرك مثلما يشهد للنبي محمد (ص) وأتباعه.

بالبحث والتقصي ودراسة التوراة وملحقاته- لا نغالي إذا قلنا إن أغلبية الفتاوى والأفكار التكفيرية المتشددة التي أتى بها مفتو وشيوخ الملك والسلطان الوهابية- إنما هي مستمدة من نصوص محرفة للتوراة والتلمود الشفهي المكتوب والباطني الذي ابتدعه وشرعه العبيرو اليهود خلال وبعد السبي البابلي وخصوصاً على يد (عيزرا الوراق) وهي تفاسير وتعاليم تدعو إلى القتل والإبادة والخديعة والكذب والإباحة والربا وسلب أراضي وممتلكات الغير باسم الشريعة اليهودية- والدعوات للعنصرية والتمييز والتقوقع على الذات والسبي والسطو والاستيطان بالقوة والأمر يبدو واضحاً لكل ذي عقل وبصيرة وما ممارسات بعض الأنظمة والتنظيمات الإسلاموية المتطرفة إلا هو إرث موروث من فقه سلطاني تسلطي عثماني طغت على إسلامه طغمة متأسلمة يهودية سيطرت على مفاصل السلطنة العثمانية وعسكرها تحت ستار الدين (يهود الدونمة- يهود الرجعة).

أولئك المنافقين هم من حول السلطنة العثمانية الشابة إلى سلطنة للبطش والطغيان وسلطنة للحريم والجواري والبغي والغلمان والخصيان- تماماً كما هو الحال في بعض إمارات وممالك وعربان النفط ونواطيره.

نشرت صحيفة العربي الناصري المصري في عددها رقم 3107 نوفمبر 2012 قراءة في كتاب (مسائل في فقه الجهاد والذي يحمل فكر القاعدة التكفيري

ويعرف (بفقه الدماء) لمؤلفه الشيخ عبد الرحمن العلي ويعرف في الأوساط الجهادية والمواقع السلفية باسم (أبو عبد الله المهاجر) وينطلق الشيخ من قاعدة ثابته تقوم على تقسيم العالم إلى دارين- دار الكفر- ودار الإسلام التي تحكمها الشريعة الإسلامية.

يفتي الشيخ بجواز الاستعانة بالكفار ضد الطوائف المرتدة وهو بمثابة الاستعانة بالكلاب ضد الكفار انتهى قول الشيخ.

هذه الفتوى صحيحة جداً في كتاب التوراة لكنها ليست بفتوى من دين الإسلام وقد نفذت هذه الفتوى من قبل العبرانيين الذين أصبحوا يهوداً فيما بعد وكما كان أن بعض الأعراب قد تهودوا أيضاً- كانت استعانتهم على غزو أريحا الفلسطينية وحرقها بالنار بمثابة الاستعانة بالكلاب والكفار (بالعاهرة رحاب الزانية) الخارجة على قومها والفتوى هي من إحدى الفتاوى العبرويهودية التي تجيز الاستعانة بالكفار والكلاب لتحقيق غايات عدوانية سلطوية واحتلال واغتصاب لأراضي وممتلكات الغير.

والتاريخ يعيد نفسه اليوم بالتآمر والغزو والتدمير الغربي الصهيوعربي إسلاموي على بلاد الشام ومصر والعراق واستباحة سكانها تحت ستار ظاهره الدعوة والجهاد (وجهاد النكاح) وباطنه تدمير الكيانات الوطنية الحضارية للمشرق العربي.

لم يعد للأعراب من قضايا في فلسطين وجنوب لبنان والجولان ولواء إسكندرون والصومال وجنوب السودان. فابتداع مفتوهم وحكامهم (جهاد النكاح) وإقامة إمارات الحريم والغلمان والجواري والفسوق.

العهد القديم (فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سراً قائلاً اذهبا وانظرا الأرض وأريحا- فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب وأضجعا هناك- فقيل لملك أريحا هوذا قد دخل إلى هنا الليلة رجلان من بني إسرائيل لكي يتجسسا الأرض- فأرسل ملك أريحا إلى راحاب يقول أخرجي الرجلين اللذين أتيا إليك ودخلا بيتك لإنهما أتيا يتجسسان الأرض كلها- فأخذت المرأة الرجلين

وخبئتهما)[184] توراة (وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأه من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف- وقال يشوع للرجلين الذين تجسسا الأرض ادخلا بيت المرأة الزانية وأخرجا المرأة وكل مالها كما حلفتما لها)[185].

من هذه النصوص التوراتية جاء جواز الاستعانة بالكفار على أهل الوطن كما الاستعانة بالكلاب- كما فعلت راحاب العاهرة بخيانتها لقومها ورقصت لحرقهم بالنار وإبادتهم- كذلك فعل ويفعل من فرح ويفرح ورقص مزهواً مرحباً بالعدوان الصهيوني على بلده سوريا أو شجع وطالب بالعدوان الأمريكي عليها وهو كمن فرح من اليهود باغتصاب أريحا الفلسطينية مستعيناً بالعاهرة راحاب؟![*] ينسحب هذا الوصف على المتسكعين على أعتاب الدول الخليجية والغربية والتركية والمطالبين اليوم بالعدوان والاحتلال لوطنهم سورية دون حياء أو وازع من ضمير- إن نص القرآن الكريم واضح جداً في هذا الشأن:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق)[186] (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون)[187] (لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة أولئك هم المعتدون)[188].

في الغزو والأسر يدعو الشيخ المهاجر لقتل الأسرى وتعذيبهم ويصف المسلمين الشيعة بالرافضة ويدعو لقتلهم وتعذيبهم والاقتصاص منهم- وينطلق أيضاً من قاعدة عدم جواز مشروعية إتلاف النفس وحرقها إنما يبرر ذلك في حب الشهادة ويعطي مشروعية بجواز إتلاف النفس لمصلحة إظهار الدين أو الرغبة في الشهادة- هذه الفتاوى والاجتهاد ليست من الإسلام شيء- فالإسلام أمر بقتال الذين كفروا

---

[184]- العهد القديم، سفر يشوع، 2-1-4.

[185]- العهد القديم، سفر يشوع، 6-21-23.

[*]- راحاب الزانية وحرق أريحا بالنار كما تقول التوراة علماً أن هذه الحادثة خرافية وثيت آثارياً أنها لم تحدث أبداً.

[186]- القرآن الكريم، الممتحنة، 1.

[187]- القرآن الكريم، التوبة، 8.

[188]- القرآن الكريم، التوبة، 10.

والذين يقاتلونكم لإخراجكم عن دينكم أو لسلب حقوقكم وأوطانكم والذين يعتدون عليكم بالباطل والإرهاب ليخرجوكم من دياركم ثم أتبعها الله تعالى بـ (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فالعدوان على الطوائف والأديان والمذاهب الأخرى أمر نهى عنه الإسلام ورسوله ووصف المذاهب الإسلامية الأخرى بالرافضة اعتداء مشين يدعو إلى الفتنة بل هو تحديث للفتنة التي عمل على إحداثها اليهود في صدر الإسلام والتي جلبت للمسلمين الفرقة والتخلف وفتحت الباب واسعاً للأعداء لاستضعاف المسلمين كما هو حاصل اليوم حينما حول بعض المسلمين بوصلة الصراع العربي الصهيوني باتجاه إيران المشرقية المسلمة وتحالفوا مع العدو الحقيقي للأمة.

أما قتل الأسرى وتعذيبهم وهذا ما قام به نفر من بني إسرائيل واليهود الخارجين عن الموسوية فإنه إفتاء نابع من ثقافة التوراة والتلمود الصهيوني وقد حذر الله تعالى مرتكبيه في القرآن الكريم (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)[189].

أما الإفتاء بجواز إتلاف النفس رغبة في الشهادة- فليس في الإسلام إتلاف للنفس لغاية الحصول على الشهادة أو لدخول الجنة لملاقاة الحور العين فالشهادة إن كتبها الله تكون وسيلة لتحقيق الانتصار أو المقاومة ورد العدو وردعه والدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات والسيادة والعقيدة لنصرة الله لأن المعتدي والمحتل الغاصب هو عدو لله وقد حدد الإسلام ذلك بالفوز (بإحدى الحسنيين) النصر أو الشهادة وهناك فرق كبير بين مجاهد في سبيل الله على أرض فلسطين والجولان والقدس ولبنان وفي أي بلد عربي ومسلم يتعرض للاحتلال والعدوان واغتصاب الحقوق وهدر الكرامات وبين الذين يقتلون الناس ويحرقونهم وينكلوا بهم في أوطانهم أو يلقوا بهم من الطوابق العليا أحياء أو يشونهم أو يأكلون لحومهم ويسبون النساء والبنات ويقومون بالخطف والاغتصاب وما سمي (جهاد النكاح) ويطلبون

[189]- القرآن الكريم، البقرة، 85.

الفدية ويرتكبون أعمال السلب والنهب والتدمير وتمزيق الأوطان فليس في ذلك إلا عدوان على حدود الله وشرعه وعياله.

هذه الأفعال التي ارتكبها السلف الصالح من اليهود الغزاة بحق سكان الأرض في بلاد الشام واليمن ولا زالوا يرتكبونها اليوم في فلسطين ولبنان والجولان- فهل من دعوات للجهاد هناك؟!!

من بداية تسعينيات القرن الماضي إلى اليوم هذه العمليات (الجهادية كما يدعون) في كينيا وتنزانيا وأفغانستان وأميريكا (11 سبتمبر) وإسبانيا وبريطانيا وروسيا والعراق ومصر ولبنان ومؤخراً في سوريا ورغم كل الصعوبات وبعد المسافات عن دائرة الصراع- وهذه النجاحات والاختراقات هناك لماذا لم نشهد لهم عملية جهادية واحدة ضد الكيان الصهيوني المحتل والمهود للمقدسات في أولى القبلتين (القدس الشريف) هل ذلك الأمر مجرد صدفة أو عدم قدرة أم هي عقيدة شيطانية وهابية تعمل لمصلحة اليهود الصهاينة والمسيحية المتصهينة.

وأكرر هنا مضمون الآية الكريمة التي يأمر فيه الله رسوله بالدعوة وسبل الإرشاد والعقاب (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن- إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين- وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)[190].

الكثير من الفتاوى والممارسات التي يدعى أنها من الإسلام هي ليست من الإسلام في شيء إنما هي إسرائيليات سربت إلى الإسلام خلسة أو فسر بها المفسرون الذين لديهم نقص في الدراسة وعلم التاريخ القديم والكتب السماوية السابقة وبذلك فسر بعضهم بعض آيات القرآن الكريم بما جاء في التوراة حتى أنهم اعتبروا الحكماء من بني إسرائيل كأنبياء.

ليس في الإسلام سبي ولا حرق ولا تقطيع ولا جهاد نكاح ولا اغتصاب لحقوق الغير ولا تدمير للممتلكات- كما أوردت رواية التوراة.

---

[190]- القرآن الكريم، النحل، 125-126.

توراة تثنية الاشتراع (إذا خرجت لمقاتلة أعدائك فأسلمهم إلهك إلى يدك فأسرت منهم أسرى ورأيت بين الأسرى امرأة جميلة الهيئة فتعلقت بها واتخذتها لك امرأة- فحين تدخل بيتك تحلق رأسها وتقلم أظافرها- وتنزع ثياب أسرها عنها وتقيم في بيتك تبكي أمها وأباها شهراً وبعد ذلك تدخل عليها وتكون لها زوجاً وهي تكون امرأة ثم أنك لم تعد تريدها فأطلقها حرة ولا تبعها بغضة ولا تظلمها لأنك أذللتها)[191].

لا سبايا في الإسلام ولا إذلال لأسير أو لأسيرة تصبح للمتعة الحرام- هذه النصوص التوراتية المكتوبة بعنصريتها وهمجيتها قد تكون أكثر أخلاقية ورحمة بالمقارنة مع ما ارتكبته العصابات التكفيرية الإسلاموية من قتل وتنكيل واغتصاب بحق أبناء جلدتهم من الحرائر السوريات خاصة تجار الرقيق وفعل القوادة والعهارة والوحشية المرتكبة وبحقد بحق لاجئات سوريات في كل من تركيا والأردن ولبنان الشقيق؟.

يشرع فقه الدماء ومفتوه قتل الأطفال والنساء- ويدخل الشيخ في مسألة قتل النساء والصبيان الذين لم يقاتلوا- فإن قاتلوا يقتلون- لكنه يقول إن للمرأة آثار عظيمة في القتال منها الإمداد بالأموال والتحريض على القتال ومن هنا وجب قتلهن أو أخذهن سبايا!!.

وشرع الشيخ قطع رؤوس وأعناق الكفار ويستند إلى تأويل قرآني قد أمر بضرب أعناق الكفار والمشركين ويشهد بحالة قطع الرؤوس- إن خالد بن الوليد في حروبه ضد المرتدين ضرب عنق أحد رؤسائهم ثم أمر بالرأس فطبخ في قدر أكل منه خالد بن الوليد تلك الليلة ليرهب الأعراب المرتدة (والخبر قطعاً غير صحيح)- يخرج الشيخ التفاسير والآيات عن سياقها التاريخي والمكاني والاجتماعي والظروف السائدة في تلك الحقبة ويعود بنا إلى أكثر من ألف وأربعمئة عام مضت جاءت بعض الآيات والتفاسير معالجة لها وبظروفها.

---

[191]- توراة، تثنية، 20- 10- 14.

نقول للشيخ المفسر أنت اليوم لا تقاتل الكفار والمشركين الذين حاربوا الإسلام ورسوله في صدر الإسلام وكانوا معتدين- أنت اليوم تقاتل وتقتل أبناء وطنك وأمتك خدمة للعدو الصهيو يهودي وتقاتل اليوم الجيوش العربية نيابة عنه عندما تعلن أنك تقتل الشيعة والدروز والعلويون والمسيحيون من أبناء وطنك وتكفرهم داخل أوطانهم وهم موحدون ومسلمون وكتابيون- قد تختلف معهم مذهبياً أو عصبوياً لكنهم قطعاً متفقون جميعاً على أن العدو الصهيوني والمسيحية المتصهينة والماسونية وحدهم أعداء للأمة والوطن ولكل الشعوب الحرة فهل تؤمن أنت بذلك؟.

إنما نمط الاعتقاد بالسبي والتكفير والقتل والإبادة مستمدة من شريعة التوراة المكتوبة والتي تسعى دولة الاحتلال الصهيوني إلى إعادة نشرها في المنطقة تحت مسمى الدولة اليهودية (والإمارات والخلافات الإسلامية).

توراة- تثنية الاشتراع (وإذا تقدمت لمدينة لتقاتلها فأدعها للسلم أولاً- فإذا أجابتك بالسلم وفتحت لك الأبواب فكل القوم الذي فيها يكون لك تحت السخرة ويستعبد لك وإن لم تسالمك وحاربتك فحاصرها- وأسلمها الرب إلهك إلى يدك- فاضرب كل ذكر بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة من غنيمة فاغتنمها لنفسك)[192].

ولنقارن ما بين النص التوراتي وبين ما أفتى به شيوخ الفتنة والممارسات وصلت إلى حد التطابق والتقيد الأمين لمضمون ما جاء في توراتهم المحرفة- أليس هذا ما يحصل الآن في شمال وشرق سوريا؟

السؤال هنا- هل فعل رسول الله (ص) ذلك في أهل مكة من المشركين؟ وقطعاً هم المعتدون هل فعل ذلك من بعده السلف الصالح من الخلفاء الراشدين؟ هل فعل الإسلام والمسلمين ذلك في أهل البلاد التي دخلوا إليها كأصحاب دعوة ورسالة سلام وعدل- هل فعل ذلك الخليفة عمر بن الخطاب مع أهل القدس من أهل الكتاب وغيرهم؟.

---

[192]- توراة، سفر تثنية، 20-10-14.

هل سخر واستعبد المسلمين البلاد التي دخلوا إليها فاتحين في زمن الفتوحات- هل فرض الإسلام على أهلها أنماط الثقافة والتراث واللغة العربية والزي التقليدي لجزيرة العرب- لماذا يكفر السلفيون من لا يقتدي بأنماط لباسهم ولحاهم ومسواكهم وأنماط سلوكهم فيذهبون إلى القشور متجاوزين للجوهر- أهو إسلام حنيف أم هي بدع جاهلية عصبوية قبلية جاء الإسلام لاغياً لها؟!.

نشرت المحطات الفضائية الغربية وصحافة صهيونية الغربية صوراً ومشاهد تظهر بشاعة الجرائم المرتكبة بحق المواطنين السورين وأفراد وضباط الجيش العربي السوري خصوصاً مشاهد قطع رأس أحد الضباط وشيه على الموقد وآخر يأكل من لحمه مسلحاً يظهر جلياً وهو يقطع اللحم البشري ليأكله- قلباً وكبداً دامياً متباهياً بهذا الفعل الوحشي.

بعد أيام من العرض تثبت لافته كبيرة في إحدى عواصم الغرب تظهر ذاك المتوحش وهو يأكل لحماً بشرياً يقطر دماً وقد كتب على اللافتة (هذا هو الإسلام الإرهابي) والسؤال هنا ترى كم دفع الغرب المنافق وشيوخ نفطه وإعلام الصهيونية معهم لحصول هذه الواقعة على يد مجاهد مسلم ليقول الغرب لمواطنيه وأتباعه (هذا هو الإسلام)؟

أية خدمة قدمها هذا السفاح لأعداء العروبة والإسلام؟.

تحاول قوى التكفير الظلامية ومن ورائها أرباب نعمتها من حكام العائلة السعودية الباغية وأتباعها النواطير في مجلس الستة* (مجلس التعاون الخليجي) ومعهم تركيا الإخوانية العثمانية الالتفاف على مطالب وتطلعات الشعب العربي السوري وقواه القومية الساعية إلى الإصلاح والتعددية والتغير السلمي الإيجابي وحرية التعبير والاعتقاد ومحاربة الفساد والتوجه بهذه المطالب العادلة نحو تدمير الوطن السوري وتدمير بناء الدولة السورية ومؤسساتها وإفقار الشعب وحصاره وتدمير بنيته التحتية الاجتماعية والتوجه بالبلاد نحو الانقسام والتقسيم وإقامة الكيانات الطائفية والعرقية دعماً للعدو الغربي الصهيوني ونيابة عنه ولإخراج

---

* - مجلس السته - لا يقبل اليمن التي خرج منها معظم قبائل العرب المشكلة لتاريخ الجزيرة العربية في مجلس التعاون الخليجي لان الرقم سيكون (السبعة) وهو رقم مخالف لأركان نجمة داوود السته.

القيادة السورية الوطنية من محور المقاومة والممانعة وإخراج العراق وسوريا ولبنان نهائياً من دائرة الصراع العربي الصهيوني نصرة للإقطاع السياسي السوري العثماني القديم المتحالف والقابع تاريخياً في أحضان المملكة السعودية وأتباعها والمرتهن لمشيئة السياسات الأطلسية الغربية المعادية للعرب والمسلمين وقد ثبت هذا تاريخياً ويدرك أبناء الشعب السوري ذلك جيداً.

ألا يتطلب هذا القتل والدمار والضياع والتهجير والحصار لوطن يعتبر مصدراً للحضارة والمدنية والتاريخ العريق والمحبة والتسامح وقفة نحكم فيها العقل والضمير وشرائع السماء ولغة الحوار وقبول الآخر.

كانت القيادة السورية تعلم تماماً أن حركة حماس حزب إخواني فدعمت هذه الحركة بصفتها حركة مقاومة إسلامية كما حزب الله اللبناني وانطلقت في ذلك من أن جميع البنادق المقاومة يجب أن توجه نحو عدو الأمة المحتل لا سيما وأن السياسة السورية تلتزم تاريخياً بدعم المقاومة للمحتل في كل أرض عربية أو مسلمة ولأن حماس تقاتل كحركة تحرر من الاحتلال والعدوان وعلى أرض فلسطين المحتلة- كما دعمت إيران الاسلامية حركة حماس أيضاً كونها تقاتل على أرضها كحركة مقاومة وتحرر وإيران تعلم تماماً أن حماس حركة ذات إيدلوجية إسلامية وسنية وكان دعم سوريا وإيران لحماس وغيرها من حركات الجهاد الإسلامي في فلسطين لا يقل حماساً وإخلاصاً عن دعمها لحزب الله اللبناني الشيعي كما يقال:

فكل الجهود والقوى الوطنية واليسارية والإسلامية يجب أن توجه باتجاه الأراضي المحتلة وفي مواجهة الغاصب المحتل وكانت القيادة السورية تعلم جيداً أن تركيا يحكمها حزب العدالة والتنمية الإخوانية- فمدت يديها مرحبة بعودة تركيا إلى المحور الشرقي العربي الإسلامي وكما إيران الإسلامية بعد أن وقفت القيادة التركية طويلاً على أبواب وأعتاب الاتحاد الأوربي الذي أغلق الأبواب بوجها لا لشيء إلا لأنها دولة مسلمة مشرقية.

سورية رحبت بعودة تركيا إلى مشرقها من بوابة وقف التحالف التركي والتعاون العسكري مع العدو الصهيوني وقدمت سوريا كل التسهيلات والامتيازات

الاقتصادية التي كانت مخلة بحجم التبادل ومؤثرة على المصالح التجارية السورية اعتقاداً منها أن الحكومة الإخوان التركية سوف تتطلع إلى تحالف وتعاون مشرقي عربي مسلم يساهم في تامين الولاء للمشرق وبأمل تحقيق الامان التركي على حدودها الشمالية وليفتح آفاقاً عربية تركية لتبادل المصالح والتعاون في حل قضية الصراع العربي الصهيوني برؤية عربية إسلامية تحقق العدل واستعادة الحقوق العربية والسلام العادل.

كما أن حزب الله اللبناني الشيعي كما يقولون قد ساهم وقدم كل الجهد في دعم وتسليح وتمويل حركة حماس الإخوانية السنية حتى أن بعض خلاياه المقاومة على الساحة المصرية والتي كانت تعمل على تسليح وإمداد قطاع غزة المحاصر قد تعرضت للاعتقال والتنكيل على يد السلطات المصرية تحت حكم المخلوع الرئيس حسني مبارك. ومن منا لا يذكر العدوان الجوي على ضواحي مدينة الخرطوم مستهدفاً السلاح والصواريخ السورية والإيرانية التي كانت تحمل من مخازنها على أكتاف أبناء القوات المسلحة العربية السورية وضباطها لتنقل إلى هناك إمداداً للمقاومة الفلسطينية في غزة المحاصرة ومن منا لا يتذكر أيضاً حجم الإسناد والحماية والرعاية السورية لفصائل المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حركة حماس الإخوانية. في النتائج ورد الفعل الإخواني المسلم.

لم تدعم سوريا وإيران وحزب الله حركة حماس لأنها إخوانية أو لأنها تنتمي إلى الطائفة السنية!!

الدعم كل الدعم كان لفلسطين وللمقاومين على أرض فلسطين أياً كان انتمائهم الديني والسياسي ولكن هل قدرت قيادة حماس الإخوانية هذا الفهم السوري والإيراني لطبيعة الصراع الدائر في المنطقة؟

هل كانت القيادة السياسية لحماس على درجة من الوعي والإدراك والإخلاص للقضية الفلسطينية بمثل ما كان عليه هذا الوعي والإدراك السوري الايراني؟

بكل أسف أقول أن قيادة حماس قد خلعت عباءتها الفلسطينية المقاومة واظهرت وللأسف تمسكها بالعباءة الإخوانية الحزبية الانتهازية وأدخلت الشعب

الفلسطيني في متاهات الولاءات العربية الداخلية المشبوهة- فلبست العباءة القطرية والسعودية والتي هي أساساً بضاعة أو صناعة إسرائيلة؟

سببت هذه القيادة المرتدة على الثوابت الفلسطينية للفلسطينيين في سوريا المقاومة النكبات والازمات والتهجير نتيجة لوقفها إلى جانب الإخوان المسلمين في سوريا- وقدمت لسوريا وشعبها يد الغدر الإخوانية المعهودة وطعنت ظهر من قدم لها وللمقاومة المأوى والمال والسلاح وأسباب الصمود والقوة واعتقدت خاطئة أن حزب الإخوان في مصر سيقدم لها الترياق وبغباء مطلق رفع رئيس مكتبها السياسي على أرض غزة المقاومة علم الانتداب الفرنسي على سوريا.

النظام السوري المحاصر والذي تتكالب عليه كل قوى الشر العالمية ومعها قوى الإسلام المفبرك الظلامي الخليجي والعربي والذي يتعرض لحرب كونية يأبى إلا أن يتمسك بفلسطين وعروبتها ويرفع علمها عالياً والسيد خالد مشعل يرفع علم الفتنة والانتداب- إن أصغر طفل فلسطيني مقاوم اليوم يستنكر ويستهجن هذا الفعل الأحمق وهو براء من فاعليه ولا يمكن أن يكون إلا في خندق المقاومة والممانعة السورية ويتشرف أن يكون جندياً مقاتلاً في الخندق المواجه لأي عدوان على سوريا- أما تركيا أردوغان الإخوانية فقد كانت من الأوائل الذين طعنوا سوريا في الظهر.

قدمت تركيا كل أنواع الدعم بالسلاح والمال والتسهيلات والإعلام والمأوى إلى الظلاميين الأجانب الذين ارتكبوا كل الموبقات بحق الشعب السوري المقاوم- لم نشهد تنديداً أو استنكاراً إخوانياً للهجوم الإسرائيلي على دمشق ولو على سبيل رفع العتب أو الفذلكة- كان أولى بعصبة الإخوان المسلمين السورية أن ترفع الصوت استنكاراً للعدوان الإسرائيلي أو التهديد بالعدوان الأمريكي على بلدها ولو من باب الانتماء للوطن والتأكد على الالتزام بالدفاع عن الإسلام والمسلمين. لكن الإخوان في تركيا ومصر وسوريا وقطر لا يتجرؤون بالخروج على الحلفاء والممولين وسياساتهم هذا إن لم يكونوا أنفسهم من طالب بهذا العدوان وهذا التدخل.

إن الفلسطينيين لم ولن يكونوا يوماً الا في خندق المقاومة والتحرير ولن يكونوا أيضاً إلا إلى جانب سوريا أرضاً وشعباً وحكومة وإن كان هناك أي نأي بالنفس للفلسطينيين عن التدخل في شؤون البلاد المضيفة لهم داخلياً ويدعون إلى الحوار والتفاهم وتحقيق المطالب المشروعة العادلة للشعب وفي ذلك خدمة لقضيتهم فإنهم أبداً لن يكونوا في الخندق المعادي لسيادة وسلامة سوريا وشعبها والذي يعتبر في طليعة الأمة العربية وقواه الحرة ويعتبرون سوريا قلب العروبة النابض الذين ينتمون إليها.

لقد كنت من الأوائل المدافعين والمؤيدين لحماس في مقاومتها على الأراضي الفلسطينية وكتاباتي واضحة في عدة كتب ألفتها خصوصاً في مواجهة نهج الاستسلام والتفريط والمفاوضات العبثية ولكني أصبت بخيبة أمل كبيرة نتيجة لموقف حماس المنحاز إلى التحالفات الإخوانية الضيقة والعصبوية على حساب سوريا ومصالح الشعب الفلسطيني وككاتب ومثقف فلسطيني وصاحب قضية أتوجه بالإدانة والاستنكار لهذا التخبط السياسي وعمى الألوان الذي مارسته قيادة حماس السياسية وأتمنى على قيادة كتائب عز الدين القسام المجاهدة أن تقوم بدورها في العمل على محاسبة وتنحية كل الذين أساؤوا لحركة المقاومة في قطاع غزة المحاصر وسيكون هذا التوجه تجسيداً للوحدة الوطنية ولإعادة الاعتبار لنهج المقاومة الفلسطينية والصمود ولإعادة التأكيد أيضاً على التحالف العضوي مع قوى المقاومة والممانعة العربية والإسلامية وترسيخاً لهذا المحور المتوجه صعوداً نحو تحقيق النصر الاستراتيجي على العدو.

لم يكن يوماً تأييدنا لحماس أو لحزب الله وإيران وسوريا والقوى الوطنية اللبنانية والعربية نابعاً من أي اصطفاف مذهبي أو ديني- بل هو تأييد وموالاة نابعة من مبادىء أصيلة وثابتة تقوم على حتمية الصراع والمواجهة مع العدو الصهيوني ومن يقف وراءه أيضاً- الموقف العربي والإسلامي المخلص الذي يعتبر قضية فلسطين والقدس والمقاومة وتحرير الأرض من القضايا المبدئية الثابتة وإن قضية التحرير والاستقلال الوطني والسيادة هي من القضايا المقدسة لكل الشعوب الحرة والإنسان

وبغض النظر عن الانتماءات المذهبية أو العرقية مع الاحترام التام لمبدأ حرية الاعتقاد والاعتناق والممارسات للجميع والتعاون وتبادل المنافع والمصالح.

بموضوعية ووعي وإدراك لطبيعة الحرب التي شنت على سوريا وأسبابها الحقيقية نقول- هذه المؤامرة كانت تخطط وتجهز تفاصيلها منذ عام 2000 وبعد تنفيذ وتطبيق القرار الدولي رقم 425 القاضي بانسحاب القواة الغازية من جنوب لبنان وعلى يد المقاومة اللبنانية وبالقوة والمقاومة وبعد واحد وعشرين عاماً من صدوره- وإن احتلال العراق قد تم بدعم وتأييد وإسناد ومباركة عربية وخليجية ومصرية (مبارك) وإن التهديد الأمريكي لسوريا بعد احتلال العراق ورفض سوريا التخلي عن المقاومة العراقية واللبنانية والفلسطينية كان أيضاً من أحد أسباب هذا التآمر عليها اليوم والعمل على إسقاطها كدولة مواجهة ومقاومة وممانعة لكل مشاريع التصفية والمفاوضات العبثية وتقديم التنازلات للعدو على حساب حقوق الأمة العربية وكونها ومع إيران الإسلامية من الدول والأنظمة التي قالت لا لأمريكا والغرب فهي تشكل اليوم عقبة أمام مشاريع التصفية والتي استعدت دول الخليج وبعض الأنظمة العربية الأخرى لتقديمها مقابل بقاء أنظمتها وحكامها على رأس السلطة وكأنهم وإسرائيل في قارب واحد.

ومن أحد فصول هذا المشهد كان التخطيط والتآمر لاغتيال الشهيد رفيق الحريري لاتهام سوريا والمقاومة ولتنفيذ القرار الدولي 1559 الهادف إلى تجريد المقاومة من سلاحها وحصار سوريا وهنا لا بد من العودة بالذاكرة إلى مؤتمر شرم الشيخ الأمريكي المصري حيث جمع الرئيس الأمريكي بوش الابن وبرعاية العميل الصهيو أمريكي الرئيس مبارك غالبية الملوك والأمراء والمشايخ والحكام العرب وبكل صفاقة وتبعية مطلقة أعلن أتباع وعرب المؤتمر تمسكهم بالحل السلمي كخيار إستراتيجي ووحيد وأعلنوا وقوفهم ضد المقاومة والممانعة ونهج الكفاح المسلح ومهدوا الطريق للعدوان على لبنان بهدف تصفية المقاومة المنتصرة والصاعدة وفي عام 2006 تموز كانت قد نضجت ثمار مؤتمر وتوصيات شرم الشيخ الصهيو أمريكي وتوجب بتقديم موعد العدوان على لبنان وتحت مبررات واهية لا تمت للعقل والمنطق بصلة.

أعلن بعض العرب وتابعيهم من قوى 14 آذار والتي لبعض أطرافها تاريخ حافل بالتعاون مع العدو. إن أسر الجنود الإسرائيليين عمل غير مسؤول وفردي وإن صواريخ المقاومة عبثية- وكشر العملاء والخونة عن أنيابهم وثبت لاحقاً ضلوعهم بل ومطالبتهم بتصفية مقاومة حزب الله اللبناني والدعم والإسناد الإيراني السوري له وللفلسطينيين ولعل ما يدل على ذلك تصريح الوزيرة الأمريكية كوندليزا رايس في قلب بيروت وفي أوج المعركة وأثناء وليمة أعدها لها الحلفاء والأتباع وبحفاوة مستهجنة- أعلنت على الملأ وفي خضم المعارك والتدمير والعدوان (الآن نشهد ولادة الشرق الأوسط الجديد) فسقط المخطط وانتصرت المقاومة ولقنت العدو درساً عسكرياً ونفسياً وخلقت للدولة العدوانية اليهودية وضعاً جديداً وكسرت شوكتها وهيبتها ولأول مرة بتاريخ الصراع تنتصر المقاومة بأسلحة سورية وإيرانية ودعم شعبي عربي لا محدود وفتحت المجال واسعاً للمقاومة الفلسطينية المسلحة التي انتصرت لاحقاً بدعم سوري وإيراني وبصمودها وثباتها على الأرض فأصبحت أيضاً رقماً صعباً في المعادلة وخلقت للملوك الحكام والمشايخ المرتهنين لمشيئة العدو مقابل بقاء سلطانهم وعروشهم وتبديد ثروات أوطانهم وضعاً جديداً وشكلت لهم إحراجاً أمام شعوبهم التي هللت وباركت لانتصار حزب الله والمقاومة ورفعت أعلام الحزب والمقاومة على بيوتها ومتاجرها.

المسبب الأول هنا هو إيران وسوريا- أنصاف وأشباه الرجال وهي كلمة حق اعتبروا المقاومة ودولها العدو الرئيسي لهم- لم تعد إسرائيل العدو التاريخي للأمة العربية والشعوب الإسلامية- لا بد من تغير البوصلة بإتجاه إيران التي كانت وفي عهد الشاه حامية الحمى وكان الشاه الحليف الأول الذي يسجدون له ويسبحون بحمده لأنه كان شرطياً أمريكياً صهيونياً وتابعاً مخلصاً لليهود والغرب- يومها سقطت عنه الألقاب المدعى بها اليوم (العدو الشيعي الصفوي الفارسي ...إلخ).

يعيبون على المقاومة تلقي الدعم والسلاح من سوريا وإيران في وقت يعقدون فيه صفقات الأسلحة بمئات المليارات خليجياً- لم نر يوماً ومنذ خمس وستين عاماً أي استنصاراً لقضايانا أو استخداماً لهذه الأسلحة لصالح فلسطين أو أي قضية

عربية أو إسلاميه أخرى سوى تسليح ودعم وخلق التنظيمات الإرهابية والسلفية المتشددة والفاقدة لبوصلة الحقيقة الإسلامية وللقوى الانفصالية الآخرى.

يتحدثون ليلاً ونهاراً عن مشروع إيران النووي ومخاطره ويصمتون كصمت القبور عندما يتعلق الأمر بالأسلحة النووية الإسرائيلية وتهديدها لكامل المنطقة والإقليم- تعاطفوا مع الجنود الأسرى الصهاينة ومع الإرهابي الأسير (جلعاد شاليط) واعتبروا عملية الأسر العربية أفعالا غير مسؤولة وعبثية متناسين مصير ومعانات اثني عشر ألف أسير فلسطينياً وعربياً ومسلماً في السجون الإسرائيلية معظمهم أسروا من شوارع وبيوت المدن المحتلة ظلماً وارهاباً.

قدراتهم المادية والإعلامية والاستخباراتية هائلة تقدم وبسخاء للتآمر والتحالف على تدمير سوريا والعراق ومصر وليبيا وإيران والمقاومة العربية- هذا التجييش والتسليح والتمويل الهائل وهذه المليارات الخمسون- لو كان للملوك والأمراء والمشايخ إرادة وطنية وإسلامية حقة لاستخدامها في الصراع مع العدو ونصرة أهل لبنان والمقاومة الفلسطينية والجولان والقدس ونصرة العرب والمسلمين وإغاثة الصومال بدل من تحالفهم واصطفافهم إستراتيجياً مع العدو الصهيوني الذي لا يمكن أن يكون ما يحصل في المشرق العربي من فتنة ودمار وضحايا وخراب إلا خدمة له ولقيام الدولة اليهودية وتصفية القضية الفلسطينية وتهويد القدس ولا يمكن أيضاً لداعمين الإرهاب والفتنة المذهبية والتدمير والتشرد والتكفير والمتبنين له مالياً وعسكرياً وإعلامياً إلا أن يكونوا حلفاء للعدو الصهيوني ومرتبطين معه وظيفياً ومصيرياً وهم يدعون الإسلام والإسلام منهم براء.

إن الادعاء أو ركوب موجة انتحال الأعذار والمبررات تحت دعوى بعض الأخطاء والممارسات المرتكبة من قبل بعض الأجهزة الأمنية أو تلك التي غردت خارج التعليمات سواء كانت مدفوعة بردود فعل السلبية أو بفهم خاطئ لطبيعة الأزمة وهي مدانة أيضاً من السلطة السياسية والمعارضة على السواء.

هذه الادعاءات أو التعذر بها لا يبرر مطلقاً في سوريا ولا في أي بلد آخر حمل السلاح في وجه الدولة وركوب موجة الاحتجاجات والمطالب الحقة والعادلة والأخذ

بها نحو التآمر والارتباط الخارجي وتدمير أسس وكيان الدولة ومؤسساتها وبث الفتنة والتكفير للآخر.

تلك الممارسات المدعاة لا ولن تشكل كارثة فريدة وهي حدثت وتحدث وبشكل أكثر عنفاً وقسوة في أمريكا نفسها وفي الأنظمة الخليجية التابعة كالسعودية التي تدعم الإرهاب وتقوده وتموله في حربها على سوريا وقد شاهدنا كيف قامت القوات الفرنسية بالأمس وبكل أجهزتها العسكرية والأمنية بالهجوم والتعقب لمسلح فرنسي وأحد حاول استخدام سلاحه الفردي وكيف تلقى ثلاثمئة طلقة على جسده هناك في وقت شاهدنا فيه أيضاً قوات حفظ النظام السورية تتسلح بالعصي والتروس البلاستيكية أمام عصابات مسلحة كانت تطلق النار على الطرفين في دمشق وريفها.

تلك الأنظمة الوراثية للأرض وما عليها والناهبة لثروات شعوبها ليس فيها برلمان ولا انتخابات ولا دساتير ولا أحزاب ولا نقابات ولا جمعيات ولا نساء تقود سيارات ولا حرية للفكر والعقيدة مع مظاهر للترف والفسوق في مقابل شعوب لا زال فقراؤها يأكلون من فضلات القمامة ويسكنون في بيوت من الصفيح ويقبع أحباؤهم في غياهب السجون دون محاكمات ولا يزال مواطنوهم يغرقون ويموتون في المدن مع ممتلكاتهم لدى أول غيث من المطر- لكننا لم نشهد عنفاً وتدميراً للدولة هناك.

هذه الأعذار الواهية وإن كان ما دعي بها مداناً ومستنكراً ومرفوضاً أن يحدث ويمارس لا تبرر لابن البلد البار أن يغير أو يخلع جلده الوطني والقومي والعروبي والإنساني متحالفاً مع عدو وطنه وأمته مدمراً لبلده وقاتلاً لأهله.

إن هذا الركوب لموجة الاحتجاجات السلمية والمطالب المحقة التي نؤيدها جميعاً وهذه العسكرة والردة والأعمال الإرهابية وقصف المدن والأحياء السكنية سيكون الخاسر فيها أولاً وأخيراً الوطن السوري ومواطني سوريا موالاة ومعارضة- وسؤال يسأل- ما معنى أن يفتح العدو أبوابه ومشافيه ومستودعات أغذيته وسلاحه إلى القوى المسلحة للمعارضة السورية وإلى حزب الإخوان المسلمين؟

في وقت يغلق فيه الباب تماماً في وجه أصحاب الأرض الشرعيين من الفلسطينيين! المشردين بالقوة ترى هل هو فرز صهيوني للعدو والصديق؟

نعم هو كذلك- فالعدو يعرف مصلحته تماماً- أما أولئك الأغبياء الذي تحركهم أصابع الخارج وتحرضهم لتدمير وطنهم ويعتقدون أن بتحالفهم مع من يسموه (الجار الصديق المسالم) سوف يحكمون سوريا ثم يوقعون اتفاقيات السلام مع إسرائيل الجارة ويرفعون علمها في سماء دمشق ويعلنون الإمارة المذهبية الإسلامية فنقول لهم:

(إضافة إلى الغباء الذي تتمتعون به) تتمتعون أيضاً بالجهل وقصر النظر فالشعب العربي السوري سوف يستقبلكم بالأحذية والنعال وسيلاحقكم من بيت إلى بيت لأنه يعلم جيداً أن تحقيق المطالب شيء والوقوع في بؤرة الخيانة والنجاسة شيء آخر.

أوردت المحطات الفضائية يوم 2014/5/29 خبراً مفاده أن المحاكم السعودية قد حكمت بالإعدام على مواطن شاب من المنطقة الشرقية (القطيف) بتهمة الخروج على الحاكم لأنه مارس نشاطاً على الإنترنت ضد العائلة المالكة وخروجه في مظاهرات مناوئة للملك؟

وهناك خبر آخر كانت قد أوردته الفضائيات من قبل يقول- (إن سيدة سورية جاءها المخاض فاستقبلها العدو الصهيوني في مشافيه المحرمة على الفلسطينيين الأصحاب الشرعيين للأرض تسهيلاً لولادتها- فولدت صبياً اسمته (نتنياهو) متوجهة بالشكر للجار الإسرائيلي الصديق على استضافتها ورعايته لها وعلى إنسانيته.

هذه السيدة المحترمة التي قدمت لها دولة الاحتلال المساعدات الإنسانية لتسهيل ولادتها وطفلها الذي اسمته (نتنياهو) تيمناً وبركة بالإنسانية اليهودية- نذكرها هنا بعشرات النسوة الفلسطينيات داخل الوطن المحتل واللواتي ولدن أو توفين على الحواجز العسكرية الصهيونية ولم يسمح لهن بالمرور للمستشفيات وهن من أصحاب الأرض فنزفن حتى الموت وعلى مقربة من المستشفى الذي ولدت فيه؟!.